القرآن الكريم وأثره على القارئ والمقرئ والمستمع

عمر رمضان العبيد

قسم الشريعة-كلية القانون -جامعة الزيتونة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أرسله ربه بالقرآن رحمة وفرجا، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وعمل بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم الله به الأنبياء، بدين عام خالد ختم به الأديان، فيه الهدى والنور وبشرى للمؤمنين. دعا إلى تلاوته وتدبره، ويسره للذكر، ووعد بالفضل الكثير والخير الجزيل على تعلمه وتعليمه، وقراءته والعمل به.

فهو دستور الخالق لهداية الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، وهو حجة الرسول وآيته الكبرى: يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته، ناطقا بنبوته، دليلا على صدقه وأمانته، لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته ومن سلف الأمة وخلفها إلى يوم الناس هذا (الزرقاني،1/10)، وقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة. فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه. لذلك وجب على كل المسلمين اليوم الاعتناء والاهتمام بهذا الكتاب القيم الحكيم الذي استقام به أمر القرون الأولى من الأمة الإسلامية فاهتموا به حفظا وتحفيظا وتدريسا وعلما وعملا وتحكيما فيما بينهم في جميع شؤون حياتهم، فقد أعز الله هذه الأمة وأرشدها به إلى الإيمان العميق والعمل الصالح السديد، فأناروا به السبل أمام الشعوب وأرسوا به دعائم حضارة خالدة، عمت البشرية قاطبة.

فالقرآن الكريم هو الذي بقي من الكتب السماوية منضبطا في صورته، واضحا في معالمه، غالبا كل الغلبة على محاولات التزييف في الشكل والمعنى رغم محاولات الأعداء المتكررة التي بذلت للتشويه والتشكيك في هذا الكتاب، فقد باءت هذه الجهود بالفشل الذريع والخيبة والخسران، لأن

الحافظ هو الله سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ .(الحجر من الآية: 9).

ولقد أراد الله ﷻ أن يبقى القرآن وثيقا كل الوثاقة في نصوصه وأحكامه ومعانيه؛ لأنه منهاج دعوة ودستور حياة للأفراد والأمة جمعاء على حد سواء.

وبناء على ما تقدم سأتناول هذا البحث من خلال الفقرات التالية مستعينا بالله مستمدا منه التوفيق والسداد.

أولا: تعريف القرآن الكريم:

يتعذر تعريف القرآن الكريم بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدا حقيقيا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودا في الذهن أو شاهدا بالحس كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين، أو تقول: هو: ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ..... إلى قوله من الجنة والناس)).

وللعلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم وأعتقد أن التعريف الشامل له هو الذي يتفق مع تعريفات علماء اللغة والأصول وهو التعريف الآتي: القرآن الكريم هو: كلام الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللفظ العربي المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس (القطان، 1981م،ص 20) ،واقتضت حكمة الله أن ينزل هذا الكتاب منجما على غير عادت الكتب السماوية السابقة التي كانت تنزل جملة واحدة، والحكمة في نزوله منجما في عدة جوانب لعل أهمها ما يلي:

1- تثبيت فؤاد النبي ﷺ وإشعاره بعناية ورعاية المولى عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان من الآية: 32).

2- تيسير حفظه على النبي ﷺ وعلى أمته، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر من الآية: 17)فالعرب أكثرهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون ونزوله مفرقا ومنجما ليسهل عليهم حفظه وتبليغه.

3- التدرج بالأمة في تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة، وتحليهم بالعقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

4- مسايرة الحوادث الطارئة والمتجددة بنزول أحكامها عند وقوعها.

5- الإشارة إلى مصدر القرآن الكريم وأنه نزل من عند الله تعالى وذلك أن نزوله كان مفرقا، واختلاف أسباب النزول، وتباعد ما نزل منه أخيرا عما نزل منه أولا تجده متناسق الألفاظ محكم

الأسلوب منسجم النظم والتراكيب بطريقة معجزة، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء، من الآية:82) .

ثانيا: أسماء القرآن الكريم:

لقد اختص الله تعالى القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شرفه وعلو منزلته. ولقد أطنب بعض العلماء في ذكر أسماء القرآن، وذلك بجعل الأوصاف الواردة في القرآن أسماء له- حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وتسعين إسما- ولكني لا أذكر إلا الأسماء التي يدل عليها لفظ القرآن دلاله صريحة (محيسن، ص 6) وهي:

1- القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾

2- الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

3- الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

4- الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

5- الوحي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾

6- الروح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾

ثالثا: أن الله تعالى تولى حفظ كتابه.

وحفظ القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى ولم يترك للبشر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: من الآية: 9) فحفظه من التغيير والتبديل وأول ما نزل من القرآن يشير إلى ذلك وهو قوله تعالى﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:الآيات: 3- 4- 5). والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون باللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبيان، ذهني، ولفظي، ورسمي. على عكس الكتب السابقة التي أوكلت إلى أهلها فحرفوها وبدلوها .

وهناك قصة حصلت في زمن المأمون وهو أمير إذ ذاك تدل على حفظ الله لكتابه أرى من المناسب ذكرها، حيث كان المؤمون يتخذ مجلسا للنظر يضم بعض الناس من أهل الرأي والعلم، فدخل معهم يهودي وكان حسن الهيئة فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما تقوّض (أي انقض بمعنى انتهى الاجتماع) المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم؟ قال له أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعده، فقال: ديني ودين آبائي.. وانصرف. فلما كان بعد سنة جاء مسلما، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام؛ فلما تقوَض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال فما سبب

إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها؛ فعلمت أن هذا كتاب محفوظ. فكان هذا سبب إسلامي (القرطبي: 4/3621).

ومن المعلوم أن اليهود والنصارى لا يوجد منهم من يحفظ شيئا من التوراة أو الإنجيل ولهذا لا نستغرب التحريف والتبديل، فنحن نرى اليهود وهم يقرءون التوراة على حائط البراق في القدس الشريف والذي يسمى حائط المبكى زورا وبهتانا، وكذلك أتباع الديانة المسيحية في كنائسهم يرددون تراتيلهم من الإنجيل فقط ولا يحفظون منه صفحة واحدة. ومن ضمن العناية الإلهية بهذا الكتاب الكريم تنظيم المسابقات القرآنية على مستوى العالم العربي والإسلامي للجنسين مما زاد في نشر القرآن واتقان حفظه وتلاوته ،ودور الشعب الليبي المسلم كبير في هذا الشأن والحمد لله، فشباب ليبيا يحصلون على المراكز الأولى في المسابقات العالمية وهذا من فضل الله على هذا الشعب.

رابعا: فضل أهل القرآن:

والآن ندخل في فضل حفظ القرآن الكريم وما أعده الله من الأجر والثواب لأهله في الدنيا والآخرة، ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر: من الآية: 32)" أورثنا الكتاب" أي أعطينا. والميراث عطاء حقيقة أو مجازا؛ فإنه يقال مما صار للإنسان بعد موت آخر. والكتاب هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده، وكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن، وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة، فكأنه ورّث أمة محمد ﷺ الكتب التي كانت في الأمم قبلنا، اصطفينا أي اخترنا، واشتقاقه من الصفو، وهو الخلوص من شوائب الكدر، وأصله اصتفونا، فأبدلت التاء طاء والواو ياء. " من عبادنا " قيل المراد أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره، وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل أمة إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمدﷺ (القرطبي، 6/5429) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ (فاطر: من الآية: 32)قيل فيها الكثير من الأقوال ومن بينها قول ابن عطاء وهو: الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا، والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبى، والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق. وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار،

والمقتصد الذي يعبد الله طمعا في الجنة، والسابق الذي يعبد الله لوجهه لا لسبب. وقيل الظالم التالي للقرآن ولا يعمل به، والمقتصد التالي للقرآن ويعمل به، والسابق التالي للقرآن العامل به والعالم به (القرطبي، 5430/6).

وجاء في تفسير ابن كثير – رحمه الله – قوله: عن عوف بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أمتي ثلاث أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحَصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده ،يقول الله تعالى صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهي التي قال تعالى فيها: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت: من الآية: 13).

وعن عقبة بن صهبان الهنائي قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ (فاطر: من الآية: 32)فقالت: يا بني هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات، فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (ابن كثير، 556/3)

وقرأ عمر بن الخطاب الآية ثم قال: قال رسول الله سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له (الزمخشري، 1414هـ،153/3) .

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله وما المخرج منها، قال كتاب الله تعالى فيه نبؤ من قبلكم وخبر من بعدكم.....)) ، وعن عبدالله بن مسعود ﷺعن النبي ﷺ قال : ((إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)) (المنذري، ت/الجندي ،2004، 309/2).

فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، خلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه. قال رسول الله ﷺ: (إن لله أهلين منا، قالوا يا رسول الله من هم قال: هم

أهل الله وخاصته) (أخرجه مسلم في صحيحه، 84/6) وروي عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن والذكر عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، قال: وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (البخاري،762/8). وروى عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) (الصابوني،2003،ص 363).

واعلم أن القرآن فضلا عن أنه كلام الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: من الآية: 42)هو آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة، والرسول الأمين، والواعظ الناطق، والبرهان القاطع، والعقيدة الثابتة، والآية الساطعة.

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال في حديثه عنه وعن فضله: ((كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن، من الآية: 1- 2)من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)) (المنذري، ت/ الجندي، 2004، 231/2).

والرسول ﷺ جعل القرآن الكريم صداقا للرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة وليس معه شيء (البخاري، 2003، 757/8) وذكر أبو بكر الأنباري أنه أخبره من يثق به أن أبا عبدالرحمن السلمي كان إذا ختم عليه الطالب القرآن الكريم أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه، وقال يا هذا اتق الله ما أعرف أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت. وروى الدارمي عن وهب الذماري قال: قال رسول الله ﷺ (من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام) قال سعد، السفرة الملائكة، والأحكام الأنبياء – وروى مسلم عن عائشة ﷺ قالت : قال رسول اللهﷺ : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) (أخرجه مسلم في صحيحه، 84/6). وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول " ألم" حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) (الصابوني، 2003، ص 363- 364). وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فليلبس تاج

الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب أرض عنه فيرضى عنه فيقول له اقرأ وارتقى ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) (أبو داود والترمذي،2003). وقالت أم الدرداء- دخلت على عائشة ﷺ فقلت لها: ما فضل من يقرأ القرآن على من لا يقرأه ممن دخل الجنة: قالت إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن ذكره أبو محمد مكي، قال ابن عباس ﷺ: (من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب)(النيسابوري،136/3). وروى مسلم عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه) (أخرجه مسلم في صحيحه، 90/6). وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فتصدق به آناء الليل وآناء النهار) (متفق عليه). وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ :(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) (متفق عليه).

خامسا: الحث على تعلم القرآن وحفظه:

عن عقبة بن عامر ﷺ قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال (أيكم يحب أن يغدوا كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كمواوين في غير إثم ولا قطيعة رحم فقلنا يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدوا أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) (أخرجه مسلم في صحيحه، 89/6). كما يقول ﷺ: (اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة) (أخرجه مسلم في صحيحه،90/6). وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول ﷺ: (ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب، هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون، وداع يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه) (المنذري، ت/الجندي، 2004، 307/2). وعن عمران بن حصين ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون

به الناس) (رواه الترمذي، المنذري، ت/الجندي، 2004، 310/2). وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) (رواه ابن حبان، المنذري، ت/ الجندي، 2004،2/305). "ماحل ساع وقيل خصم مجادل". وعن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: (عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض) (الألباني، 87/2)، وقال ﷺ: (تعلموا القرآن واقرءوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان، ومن تعلمه فيرقد في جوفه فمثله كمثل جراب أوكي على مسك)(رواه الترمذي، المنذري، ت/ الجندي، 2004،2/308) ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال: (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله) (رواه الحاكم، المنذري، ت/الجندي، 2004،2/308).

سادسا: فضل القرآن وثوابه يصل إلى الوالدين:

فعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي رواية أخرى من مسلم: (ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن)(رواه الحاكم، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 306/2) ،وقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: قال ﷺ: (من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار) (رواه ابن ماجة والترمذي، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 310/2).

سابعا: فضل البيت الذي يقرأ فيه القرآن:

فكذلك أهل البيت ينالهم فضل القرآن وبركته ،لأن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره وتحل به البركة فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أخرى أيضا، قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلمة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فغدى إلى رسول الله ﷺ وحكى له ما حصل في تلك الليلة، فقال له رسول الله ﷺ تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم) (أخرجه البخاري ومسلم، 83/6) وفي رواية أخرى: (تلك الملائكة نزلت

لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب) – على شرط مسلم- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) (الصابوني، 2003، ص :370) . وكذلك قال ﷺ: (اقرءوا سورة البقرة فإن البيت الذي تقرأ فيه يفر منه الشيطان) (الصابوني، 2003، ص: 368).

ثامنا: فضل الاستماع إلى القرآن:

فإن الله أعد لمن استمع إلى القرآن الثواب العظيم والأجر العميم ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: من الآية: 204).

وقال الليث: يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله جل ذكره ولعل من الله واجبة.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من استمع آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة) (رواه أحمد، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 2/304). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي ﷺ: (الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) (الصابوني، 2003، ص364).

تاسعا: فضل من علَم القرآن:

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (البخاري ، 8/771)، والمراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد التعلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل أو يتعلم فقط، بل من أشرف العمل تعليم الغير، والقرآن من أشرف العلوم فيكون من تعلم وعلم غيره أفضل من الغير، ولأن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره أي جامع بين النفع القاصر وهو التعلم ، والنفع المتعدي وهو التعليم ولهذا كان أفضل وهو ما عناه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: من الآية: 33) والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع.

وبعد هذه اللمحة ، وهي غيض من فيض في حق من قرأ القرآن وحفظه وعلمه وسمعه، حري بنا أن نقف هنا نذكّر أحباب الرحمن بما يجب عليهم القيام به اتجاه هذه الأمانة التي يحملونها، فعلى كل قارئ للقرآن وحافظ ومعلم أن يخشى الله ويتقه ويراقب الله سبحانه وتعالى في كل عمل يؤديه؛

لأنه قد حمل أعباء الرسل وصار شهيدا في القيامة على من خالف من أهل الملل والنحل، فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره ولهذا يقول عبدالله بن عمروﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا ينبغي لحامل القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله) (رواه الحاكم، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 308/2).

وهناك آداب للتلاوة ينبغي للقارئ أن يراعيها وهي:

- يسن التعوذ قبل القراءة، وكذلك السواك تعظيما للقرآن وتطهيرا لفم القارئ.
- يستحب الوضوء لقراءة القرآن – وقد كان النبي ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر.
- القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد. ويستحب أن يجلس القارئ مستقبلا القبلة، متخشعا بالسكينة والوقار مطرقا رأسه. وأن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة، كما يستحب ذلك إذا قرأ من أثناء السورة.
- يسن الترتيل في قراءة القرآن، وقد كانت قراءة الرسول ﷺ مفسرة حرفا حرفا ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: من الآية: 4)
- تسن القراءة بالتدبر والتفهم – فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: من الآية: 24) .
- يستحب البكاء عند قراءة القرآن أو التباكي لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: من الآية: 109).
- يسن تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، ففي الحديث:((زينوا القرآن بأصواتكم)) (رواه أبوداود والنسائي وابن ماجة ، المنذري، ت/الجندي، 2004،2/316).
- يسن السجود عند قراءة السجدة كما كان يفعل رسول الله ﷺ فعن عائشة ﷺ قالت: كان رسول اللهﷺ يقول في سجود القرآن بالليل: ((سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته)) (أخرجه أصحاب السنن، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 2/311- 312). وعن ابن عباس ﷺ عنهما: جاء رجل فقال يا رسول الله رأيتني اليوم وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول: اللهم اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود ... قال ابن عباس: فسمعت رسول الله ﷺ قرأ سجدة فقال فيها مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة) (شاكر، 2/473). وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي: يقول : يا ويلتا . أمر ابن

آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)) (مسلم وابن ماجة، المنذري، ت/ الجندي، 2004، 311/2).

واعلم أن القراءة في المصحف أفضل من قراءته حفظا، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة، وذلك بالنسبة للتأمل في المصحف.

وقد اختلف العلماء حول أفضلية قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب. وقد صرح كثير من العلماء بأن القراءة من المصحف نظرا أفضل من القراءة عن ظهر قلب. وأخرج أبو عبيد الله في " فضل القرآن " قال: ((فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة)) وإسناده ضعيف، ومن طريق ابن مسعود موقوفا ((أديموا النظر في المصحف)) وإسناده صحيح، ومن حيث المعنى أن القراءة في المصحف أسلم من الغلط، لكن القراءة عن ظهر قلب أبعد من الرياء وأمكن للخشوع، والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

وأخرج أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة ((اقرأوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن)) (البخاري، 776/8).

والأوقات المختارة للقراءة أفضلها: ما كان في الصلاة ثم الليل، ثم نصفه الأخير، وهي بين المغرب والعشاء محبوبة، وأفضل أوقات النهار بعد صلاة الصبح.

❖والمختار من الأيام: يوم عرفة، ثم يوم الجمعة، ثم يوم الاثنين والخميس.

❖ومن الأعشار: العشرة الأخيرة من رمضان، والأولى من ذي الحجة.

❖ومن الشهور: رمضان.

❖والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس، فقد روي أن عثمان بن عفان ﷺ كان يفعل ذلك. والأفضل كذلك ختمه أول النهار أو أول الليل، وأن يجعل ختمته بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمته بالليل ليلة الجمعة في ركعتي سنة المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار (الغزالي،277/1).

ويكره للقارئ الأمور الآتية:

- قطع القراءة لمكالمة أحد، لأن كلام الله تعالى لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره.
- ترك الضحك والعبث واللهو أثناء القراءة، وكذلك التنكيس في القراءة بمعنى أن تقرأ سورة الأعلى قبل الطارق... وقد سئل ابن مسعود ﷺ عن رجل يفعل ذلك فقال: ذلك منكوس القلب.

لذلك يجب على من حفظ القرآن تقوى الله ﷻ وعليه أن يكون متواضعا متخلقا بأخلاق القرآن محافظا عليه وعاضا عليه بالنواجذ مواظبا على تلاوته عاملا بأحكامه، فالرسول الكريم ﷺ يأمرنا بالمحافظة على القرآن بقوله: (إنما مثل صاحب القرآن الكريم كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت) (متفق عليه)، وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقله) (البخاري، 776/8). كما يحذرنا عليه الصلاة والسلام من مصيبة المصائب وهي نسيان القرآن الكريم، وكما نعلم أن أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده المؤمن هي حفظ القرآن الكريم بعد نعمة الإسلام، كما أن نسيان القرآن من أعظم الذنوب والعياذ بالله، يقول النبي ﷺ فيما يرويه عنه أنس ﷺ: (عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن، أو آية أوتيها رجل ثم نسيها) (رواه أبو داود وابن ماجة، المنذري، ت/ الجندي، 2،2004/313). كما قال عليه الصلاة والسلام: (ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجذم) (رواه أبو داود، المنذري، ت/ الجندي، 2،2004/313) . ومعناه خال اليدين من الخير، وقيل معناه لا حجة له، كما حذرنا الرسول ﷺ من الرياء، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة جماعة ومن بينهم ... قارئ القرآن) نص الحديث (ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال تعلمته وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) (أخرجه مسلم في صحيحه، ص:1514).

ولهذا الواجب على قارئ القرآن أن يكون همه العمل بكتاب الله والإخلاص في تعلمه وتعليمه، بعيدا عن الرياء والسمعة، قاصدا بذلك وجه الله العظيم وثوابه العميم فهو ولي ذلك والقادر عليه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من أيده ربه بالمعجزات،

وبعد، فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي ختم الله به كتبه أنزله على خاتم الأنبياء والرسل، وجعله دستورا دائما لجميع الخلق، به يهتدون وإليه يتحاكمون وبه يعتنون وعليه يحافظون، وقد حفظه الله من قبل ومن بعد من التبديل والتغيير والتحريف على عكس الكتب السابقة التي أوكلت إلى أهلها فحرَفوها وبدَلوها.

فالقرآن الكريم هو الذي بقي من الكتب السماوية منضبطا في صورته واضحا في معالمه، رغم محاولات الأعداء المتكررة التي بذلت للتشويه والتشكيك في هذا الكتاب، فقد باءت هذه المحاولات والحمد لله بالفشل الذريع، وقد اختار الله سبحانه وتعالى من هذه الأمة طائفة مباركة اصطفاها واختارها فأورثها هذا الكتاب العظيم.

فالقرآن الكريم هو مأدبة الله في الأرض وهو حبل الله المتين والنور المبين، وهو عصمة لمن تمسك به.

فقراء القرآن هم حملة سر الله المكنون وحفظة علمه المخزون، وهم أهل الله وخاصته وخيرته من خلقه، ويأتي يوم القيمة شفيعا لأصحابه، وفضل القرآن لا يقتصر على القارئ، بل يمتد فضله وثوابه إلى الوالدين.

ومن استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيمة، كما تمتد هذه الخيرية إلى من علَم القرآن لغيره

وأعظم نعمة أنعم الله بها على عبده المؤمن بعد نعمة الإسلام هي حفظ القرآن الكريم والعمل به، كما أن نسيانه بعد حفظه هو مصيبة المصائب ومن أعظم الذنوب والعياذ بالله .لذلك الواجب على حامل القرآن بعد تقوى الله عز وجل أن يكون متواضعا متخلقا بأخلاق القرآن محافظا عليه وعاضا عليه بالنواجذ مواظبا على تلاوته عاملا بأحكامه يحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند حدوده ونواهيه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل الله وسلم على نبيه محمد و آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة).

1- الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

2- المنذري، عبدالعظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب ، ت- فريد عبد العزيز الجندي ،ط/ دار الحديث- القاهرة، 1425هـ ، 2004م.

3- محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، الناشر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

4- الزيلعي ،جمال الدين، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، ت- عبدالله السعد، ط1، دار ابن خزيمة ، الرياض، 1414هـ.

5- القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن ، ط/ دار الشعب، شارع القصر العيني، القاهرة.

6- ابن كثير، لأبي الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم ، ط/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي

الحلبي وشركاه.

7- الترمذي، أبو عيسى محمد، سنن الترمذي، ت- أحمد شاكر، ط/2، مطبعة الحلبي، 1397هـ.

8- الصابوني، محمد علي، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ط/3، دار الأفق للطباعة والنشر – بيروت، 1424هـ ، 2003م.

9- النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها.

10- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ط/1، مكتبة الصفا، 1424هـ ، 2003م.

11- القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن ، ط/8، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1401هـ ، 1981م.

12- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط/3، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.